حجاجية الشاهد في كتاب "المستصفى من علم الأصول" لأبي حامد الغزالي

The argumentation of the evidence in Abi Hamid Elfhazali's ' Elmostasfa'

سامية شودار[1] ، أ.د/ليلى كادة[2]

[1] جامعة محمد خيضر (بسكرة – الجزائر)،/Samiasho10@gmail.com

[2] جامعة محمد خيضر (بسكرة – الجزائر)، Leila-Kada@hotmail.FR

تاريخ الاستلام: 2019/09/23 تاريخ القبول: 2019/10/17 تاريخ النشر: 2019/12/19

الملخص: **يعد الحجاج أحد النظريات التداولية التي استقطبت اهتمام الدارسين؛ لأن الخطاب الحجاجي يختلف عن غيره من الخطابات، كونه يعتمد على تقنيات حجاجية توظف لغرض التأثير والإقناع.**

ومن بين هذه التقنيات الشاهد، وهو من أهم التقنيات الحجاجية التي يعمد المتكلم لتوظيفها في خطابه، لقوته الإقناعية والتأثيرية في المتلقي، ويتنوع الشاهد بحسب الموضوع الذي سيق من أجله، ولما كان كتاب "المستصفى" كتابا أصوليا، فقد ثبت أن الشواهد التي تم توسلها، تعتمد أساسا على الشاهد الديني، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية:الحجاج، الشاهد القرآني، الشاهد الحديثي، الشاهد اللغوي، الشاهد الشعري.

Abstract: **Argumentation is one of the pragmatic theories that has attracted the scholars' attention because the argumentative discourse differs from other discourses in the way it uses evidence for the sake of influence and persuasion.**

The use of the evidence is one of the techniques implemented by the speaker in his speech for its influential power and persuasive impact on the recipient. The evidence varies according to the context in which it is used. In the present context, the use of the evidence in the book of "Elmoustasfa" relies intensively on the religious proofs of the Quran and Hadith, which we attempt to explain in this paper.

Keywords: argumentation, Quranic evidence, Hadith evidence, linguistic evidence, poetic evidence

المؤلف المرسل: سامية شودار Samiasho10@gmail.com

1. مقدمة:

بما أن التداولية هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغة المستعملة، فإن الحجاج يعد أحد مباحثها الرئيسة؛ لأننا عندما نتكلم في حياتنا اليومية، فنحن نسعى من خلال كلامنا إلى التأثير في أفكار المتلقي ومعتقداته ، ونعمل على إقناعه، وحثه على قبول شيء معين أو القيام به، وهذا ما أشار إليه "جان ميشال أدام" (J . M . Adam) لما صرح بأننا حينما نتكلم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المتخاطب على أن يتقاسم آراءنا أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين ، ونسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين (المستمعين) على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا (عمر بلخير، 2003، ص 121)، وذلك بتوظيف التقنيات الحجاجية في الخطاب، ومن أهم هذه التقنيات الشاهد.

الإشكالية: بما أن موضوع البحث يدور حول حجاجية الشاهد ، فما المقصود بالشاهد؟ وهل له علاقة بكتاب المستصفى من علم الأصول؟ وإذا كان كذلك فما هي أنواع الشاهد التي وظفها الغزالي في كتابه المستصفى من علم الأصول؟

أهداف البحث: نسعى من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أبرزها:

-السعي إلى الوقوف على خصوصيات الحجاج من خلال كتاب " المستصفى من علم الأصول" لأبي حامد الغزالي.

-توضيح كيفية استغلال الشاهد في دراسة النصوص، مع تطبيق ذلك على كتاب المستصفى من علم الأصول.

-بيان مدى توظيف صاحب " المستصفى" للشاهد.

تحقيقا لتلك الأهداف وإجابة على إشكاليات الدراسة فسنتطرق في هذا البحث إلى:

أولا : مفهوم الحجاج:

1 – لغة:

تشير مادة " حَجَجَ " في المعاجم اللغوية إلى عدد من الدلالات، يمكن إجمالها في:

حَاجَجْته : أي غلبته بالحجج التي أدليت بها .

والحُجَّة : البرهان ، أو ما دوفع به الخصم ، وجمعها حُجَج وحِجَاج . ويقال : حَاجَّه مَحَاجَّة وحِجَاجا : أي نازعه الحجة. والتَّحَاج : هو التخاصم . ويقال : رجل مِحْجَاج : أي جَدِل.

والاحتجاج : من احتج بالشيء؛ أي اتخذه حجة . ويقال : أنا حاججته ، فأنا محاجة وحجيجه ؛ أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان (ابن منظور، 1997، ص27، 28) .

نلاحظ من خلال هذه التحديدات المعجمية أن لفظ الحجاج يدور حول: التنازع، والتخاصم، والجدل، والغلبة، والوسيلة المتمثلة في الأدلة والبراهين.

وبحسب استعمالات القرآن الكريم لهذه الكلمة، نجد أنها لا تكاد تخرج عن معارضة الخصم بالخطاب، وإقامة الحجج والبراهين لتغيير القناعات والمفاهيم التي عنده، وإمالته عنها إلى ضدها، قال تعالى: ﴿ (الأنعام / 149)، وقال سبحانه وتعالى:﴿ (البقرة/ 258)، وقال سبحانه: ﴿ (الشورى/ 16)، وبهذا يتبين بأن الحجاج في الاستعمالات القرآنية لم يخرج عن معناه اللغوي، بمعنى أن ليس له معنى اصطلاحيا زائدا أو مغايرا للمعنى اللغوي.(عبد المنعم سمارة، 2015، ص36).

2- **اصطلاحا:**

الحجاج هو تلك « الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معين ، وذلك بالاعتماد على تمثيلات [ذهنية مجردة أو حسية ملموسة]

Representation ، أو على قضايا جازمة Assertions– حجيات Arguments – تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته ». (بنعيسى أزاييط ، 2008، ص 78).

وقد عرفه "شاييم بيرلمان" (CH.perelman) " وتيتيكا " (L.O.Tytéca) بقولهما:« موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم». (حمادي صمود، دت، ص 299).

وحري بنا أن نشير إلى أن الحجاج قد ورد بمعناه الحديث عند علمائنا الأجلاء، ولكن بتسميات اختلفت باختلاف مطلقيها وتوجهاتهم، فنجد أن "الجاحظ" قد أطلق عليه اسم " البيان" في قوله: « مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع» (الجاحظ ، 1998 ، ص 60).

أما الحجاج عند علماء الأصول فلا يخفى على من له أدنى صلة بعلم أصول الفقه أن هذا العلم من أكثر العلوم الإسلامية توظيفا للحجاج والجدل، وأن علماء الأصول من أكثر أرباب العلوم الإسلامية براعة في استثمار قوانين هذا العلم في تقرير القواعد الأصولية واستنباط الأحكام الشرعية، والاحتجاج لها، والدفاع عنها، ونقض شبه المخالفين، ودحض آرائهم، وما يتبع ذلك من ضبط الحدود والمصطلحات والمفاهيم، والمبادئ التي لا يستغنى عنها في هذا العلم، وما ذاك إلا لأن أصول الفقه يقوم على المزاوجة بين العقل والسمع (أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، 1436هـ، ص 11)؛ لأن أشرف العلوم كما يقول الغزالي ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع (الغزالي، 2010، ص8).

ثانيا: حجاجية الشاهد:

يعد الشاهد من أقوى الحجج والبراهين التي يلجأ إليها المخاطب لدعم فكرته أو لدحض حجج الخصم، أو للإجابة على ردوده وافتراضاته (مليكة ناعيم، 2016، ص 724).

ولهذا اعتبره "برلمان" من الحجج الاتصالية التي تستخدم لتُدعم رأيا ما، إذ يرى أن الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصة

توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا القول في الذهن، وعلى هذا فإن الاستشهاد –حسب رأيه– يؤتى به للتوضيح، والهدف منه تقوية حضور الحجة بجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة الحالة الخاصة يستشهد بها عليها، فقد نظر إلى هذا الاستشهاد على أنه صورة تدعم القاعدة وتوضحها (عبد الله صولة، 2011، ص 55).

وقد تنوع الشاهد في كتاب "المستصفى من علم الأصول" بين الشاهد الديني من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشاهد اللغوي، والشاهد الشعري، وتوضيح ذلك كالآتي:

1-الشاهد القرآني:

من المعلوم أن القرآن الكريم أعلى وأكبر وسائل الاستشهاد في الثقافة العربية الإسلامية، بوصفه الأداء الأمثل لإيقاع التصديق، وهذا التفوق الدرجي يجعل منه الحجة العليا، مما يجعل الفعل الحجي الذي يتم به أكثر إقناعا.(عبد اللطيف عادل،2013، ص 234).

والشاهد القرآني سلطة غير شخصية؛ لأنه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين، لذلك يشكل محط إجماع عام، دونه كل الحجج، وبالتالي فقد عد العلماء العرب الاستشهاد بالقرآن الكريم شرفا، لما فيه من إقامة الحجة، وقطع النزاع، وإذعان الخصم، وبلوغ الغرض، وتوفية المقاصد مالا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة (نور الدين أجعيط،2016، ص 413).

ويمكن التدليل على توظيف "الغزالي" للشاهد القرآني توظيفا حجاجيا نسوق المثال الآتي:

–قال "الغزالي":« ذهب الحشوية والتعليمية إلى أن طريق معرفة الحق التقليد، وأن ذلك هو الواجب، وأن النظر والبحث حرام، وتمسكم بقوله تعالى: ﴿ ﴾ (غافر/4)، وبأنه نهى عن الجدال في القدَر، والنظر يفتح باب الجدال.

قلنا: نهى عن الجدال بالباطل، كما قال تعالى﴿ ﴾ (غافر /5) بدليل قوله تعالى:

﴿ ﴾ (النحل/125)، فأما القدر فنهاهم عن الجدال فيه إما لأنه كان قد وقفهم على الحق بالنص، فمنعهم عن المماراة في النص، أو كان في بدء الإسلام فاحترز عن أن يسمعه المخالف، فيقول: هؤلاء بعد لم تستقر قدمُهم في الدين؛ أو لأنهم كانوا مدفوعين إلى الجهاد الذي هو أهم عندهم.

ثم إنا نعارضهم بقوله تعالى: ﴿ ﴾ (الإسراء/36)، ﴿ ﴾ (الأعراف/33) ﴿ ﴾ (يوسف/81) ﴿ ﴾ (البقرة/111)، هذا كله نهي عن التقليد، وأمر بالعلم، ولذلك عظّم شأن العلماء، فقال تعالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ (المجادلة /11) » (الغزالي، 2010، ص 239).

ما يمكن ملاحظته على قول "الغزالي" أنه وظف الشواهد القرآنية توظيفا حجاجيا، كونه المصدر الأول من مصادر التشريع، والمصدر الأول في الإقناع والتأثير.

كما يتضح من خلال هذه الشواهد القرآنية أن "الغزالي" وظف القرآن باعتباره حجة رئيسية تنوعت وظيفتها بين الإثبات والإبطال:

أما بوصفها حجة مثبتة فتظهر في الشواهد القرآنية التي ساقها "الغزالي" لإثبات رأيه؛ وهو النهي عن التقليد، والدعوة إلى الاجتهاد.

وأما بوصفها حجة مبطلة فتظهر في الشواهد القرآنية التي تبطل آراء الفرق التي تقول بإقفال باب الاجتهاد والرد على حكمهم بوجوب التقليد، وحجتهم في ذلك أن الله تعالى

نهى عن الجدال في القدر؛ لخفائه ولكونه سر الله في خلقه، والنظر فيه يؤدي إلى الجدال الذي لا يوصل إلى نتيجة.

هكذا لم يطلق "الغزالي" رأيه مجردا عن الحجة، بل أحاطه عبر الشاهد القرآني بكل وسائل الإقناع وإقحام الرأي الآخر، وتمثيل هذه الحجج كالآتي:

-الحجة الأولى: قوله تعالى: ﴿

﴾، وفي هذه الآية يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا، والمراد بالمجادلة هنا؛ المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنع الكفار (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2013، ص755)، يقول "الفخر الرازي": «﴿

﴾ معناه أن هؤلاء جادلوا رسلهم بالباطل؛ أي بإيراد الشبهات، ليزيلوا بسبب إيراد تلك الشبهات الحق والصدق» (الفخر الرازي، 1981، ص 31)، ولهذا وظفها "الغزالي" في هذا السياق ليبين أن الجدل المنهي عند هو الجدل بالباطل.

-الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿

﴾، وهنا يوجه الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن جادلوك رد عليهم بالتي هي أحسن (عبد المنعم سمارة، 2015، ص 43)، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وقد وظف "الغزالي" هذا الشاهد القرآني ليبين أن الجدل يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، لا المجادلة التي تؤدي إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2013، ص 475).

-الحجة الثالثة: وتمثلها الشواهد القرآنية الآتية: قوله تعالى: ﴿

وقد وظف "الغزالي" هذه الحجة للرد على الخصم من خلال هذه الشواهد القرآنية التي تدل على أن كل من ادعى دعوى لابد أن يقيم الحجة والبرهان على صحة دعواه، وأن لا يتبع ما ليس له به علم، وأن يتثبت في كل ما يقوله ويفعله بالبرهان، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 2013، ص 50).

فقد ختم "الغزالي" حجته بهاته الحجة الدامغة التي تدل على تعظيم الله سبحانه وتعالى لشأن العلماء؛ لأن في هذه الآية إشارة إلى فضيلة العلم وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه، والعمل بمقتضاه.

نخلص إلى القول إن الإمام "الغزالي" قد وظف كل هذه الحجج لإبطال رأي الفرق القائلة بوجوب التقليد وحرمة الاجتهاد، من خلال توسله لكل هذه الشواهد القرآنية التي تدل على النهي عن التقليد، والأمر بالعلم والاجتهاد، وتوضيح ذلك في المخطط الآتي:

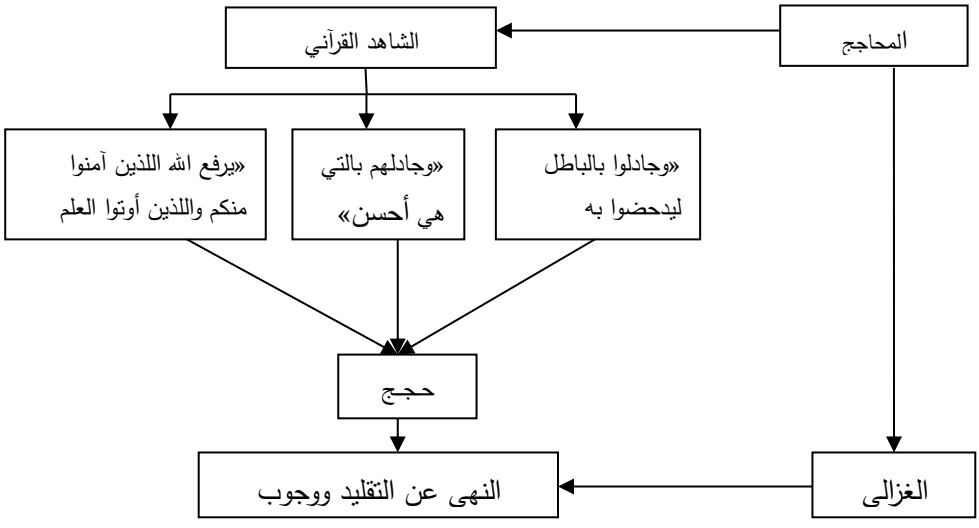

الشكل (1): حجاجية الشاهد القرآنى

2-الشاهد الحديثي:

من أهم الحجج التي استثمرها "الغزالي" في كتابه "المستصفى" استناده إلى الشاهد الحديثي، والذي يأتي في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم، فقد كان «الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يحتجون بالحديث، ويستدلون به في مواطن الخلاف والنزاع، فينقاد الجَموح، ويستسهل الصعب» (نور الدين أجعيط، 2016، ص 413) .

وبذلك يتضح أن الحديث النبوي الشريف حجة، لا يقل أهمية عن القرآن الكريم، فهو ترجمة له، وتفصيلا لمجمله (مصطفى العطار، 2017 ص 309)، ولهذا يقول "الغزالي": «وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة لدلالة المعجزة على صدقه، ولأمر الله تعالى إيانا بأتباعه؛ ولأنه ﴿ ﴾(النجم/3-4)، لكن بعض الوحي يتلى فيسمى كتابا، وبعضه لا يتلى وهو السنة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة على من سمعه شفاها، فأما نحن فلا يبلغنا قوله إلا على لسان المخبرين، إما على سبيل التواتر، وإما بطريق الآحاد » (الغزالي، 2010، ص 152)، ومن النماذج التي ذكرها "الغزالي"

للحديث النبوي الشريف كحجة نذكر المثال الآتي: قال "الغزالي": «وإقامة الحجة على استحالة الخطأ على الأمة إنما يعلم بكتاب أو سنة متواترة أو عقل، وأقواها السنة، والتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم «لا تجتمع أمتي على الخطأ»، وهذ من حيث اللفظ أقوى وأدل على المقصود، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على الضلالة»، «ولم يكن الله ليجمع أمتي على الضلالة»، «وسألت الله تعالى أن لا يجمع أمتي على الضلالة فأعطانيها»، «ومن سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، وإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد»، « ومن فارق الجماعة ومات فميتته جاهلية»، وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا، لم يدفعها أحد من أهل النقل من سلف الأمة وخلفها، بل هي مقبولة من موافقي الأمة ومخالفيها، ولم تزل الأمة تحتج بها في أصول الدين وفروعه» (الغزالي، 2010، ص 207، 206) .

ففي هذا القول أراد "الغزالي" أن يبين أن الإجماع حجة عن منكريه، فتوسل بالشاهد الحديثي، الذي يعتبر من أقوى الحجج التي يلجأ إليها المتكلم لدعم فكرته، ودحض حجج الخصم.

وتتضح المقصدية الحجاجية في هذا الشاهد كونه حجة مثبتة؛ أي إثبات أن الإجماع أصل من أصول الدين، والمصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع هو«اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة على أمر من الأمور الدينية» (الغزالي، 2010، ص 204) .

وبذلك نتبين أن "الغزالي" يعتبر الإجماع حجة، ولكي يثبت ذلك استعان بجملة من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تدل بمجموعها على تعظيم شأن هذه الأمة، وتنزيهها عن الخطأ والزلل والضلال بألفاظ صريحة صحيحة.

نخلص إلى القول إن "الغزالي" من القائلين بحجية الإجماع، والدعوة إلى اعتماده عندما لا يوجد دليل من الكتاب والسنة الشريفة، ورده على الفرق التي تنكر بأن الإجماع حجة باعتماده على الشاهد الحديثي، وقد كان هذا الشاهد كافيا لرد دعواهم؛ لأنه سلطة تحظى بنفوذ ومصداقية، نظرا لكونه صادرا على خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، لا

غرو إذن أن يوظفه "الغزالي" بوصفه الأداة الأمثل والأقوى للإقناع وإفحام الرأي الآخر، وتوضيح ما سبق في المخطط الآتي:

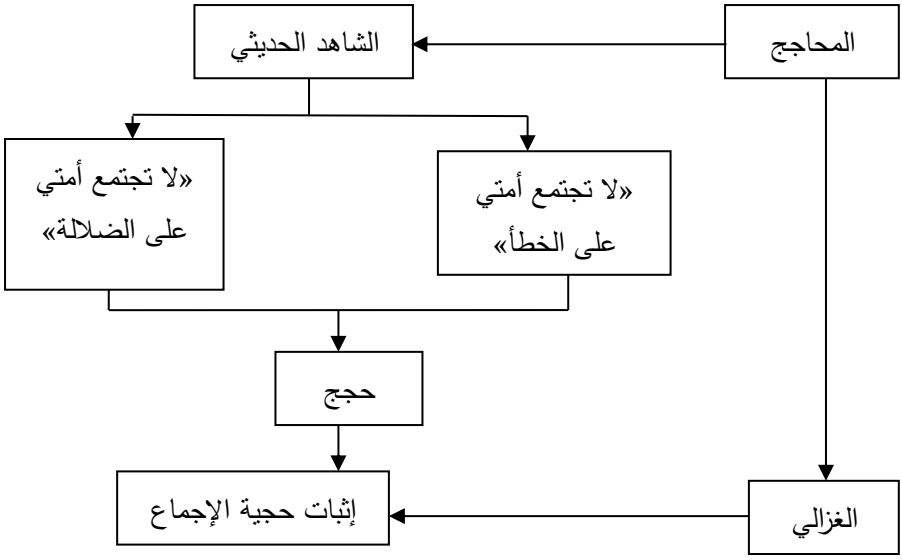

الشكل (2): حجاجية الشاهد

3-الشاهد اللغوي:

يعد الشاهد اللغوي من الحجج المؤسسة لبنية الواقع بتعبير "برلمان"، ويبرز من خلال توظيف المادة اللغوية المعجمية، وقدرة المحاجج على استعمالها في بناء الحجج والبراهين، لدفع ادعاء وإقرار طرح، أو دحض رأي وتفنيده.

ومن المعلوم أن هذا النوع من الشواهد هو من الحجج الجاهزة التي تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها، وتدخل المحاجج ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصود للاستدلال عليه، لكي تؤدي نجاعتها الحجاجية(محمد العمري، 2002، ص 90).

وقد كان للشاهد اللغوي حظوته في كتاب "المستصفى من علم الأصول"، وقد اتخذه "الغزالي" كشاهدا مكملا في الكثير من المواقف؛ أي ذكره بعد الشاهد القرآني أو الحديثي،

ويمكن التمثيل لذلك بالمثال الآتي: «قالت بعض الفرق أن تأويل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على الضلالة» ينبئ عن الكفر والبدعة، فلعله أراد عصمة جميعهم عن الكفر بالتأويل والشبهة، وقوله على الخطأ لم يتوافر وإن صح، فالخطأ عام يمكن حمله على الكفر، قلنا: الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر، قال الله تعالى: ﴿ (الضحى/7)، وقال تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام: ﴿ (الشعراء/20) وما أراد من الكافرين، بل أراد من المخطئين، يقال: ضل فلان عن الطريق وضل سمي فلان» (الغزالي، 2010، ص 209).

الملاحظ على هذا القول أن "الغزالي" استدعى الشاهد القرآني والشاهد اللغوي لتبرير موقفه من تأويل بعض الفرق للحديث النبوي الشريف «لا تجتمع أمتي على الضلالة» بالكفر والبدعة، فأراد أن يبطل دعواهم من خلال تعزيز موقفه بحجتين:

*حجة قرآنية: قوله تعالى: ﴿ وقوله تعالى: ﴿ ﴾.

*حجة لغوية: الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر، يقال ضل فلان عن الطريق، وضل سعي فلان.

وبذلك يتضح أن "الغزالي" يرد على موقف هؤلاء الفرق بالحجة الدامغة، ويثبت بأن الضلال في الوضع اللغوي لا تناسب الكفر، وإنما هي بمعنى الخطأ، وبذلك يكون الشاهد اللغوي من أقوى الحجج التي تساهم في تداولية الخطاب.

ومن أمثلة الشاهد اللغوي أيضا قول "الغزالي": «ما أطلقه "الشافعي" رحمه الله فإنه سمى الظاهر نصا، وهو منطبق على اللغة، ولا مانع منه في الشرع، والنص في اللغة بمعنى

الظهور، تقول العرب: نصت الظبية رأسها إذا رفعته، وأظهرته، وسمي الكرسي منصة، إذ تظهر عليه العروس، فعلى هذا حده حد الظاهر» (الغزالي، 2010، ص 291).

ففي هذا القول استعان "الغزالي" بالشاهد اللغوي كي يثبت أن "الشافعي" صحيح في موقفه، والمتمثل في أن مصطلح النص قد يطلق على الظاهر؛ لأن النص في الوضع اللغوي يدل على الظهور.

وعليه نستطيع القول إن "الغزالي" يوافق "الشافعي" ويؤده في موقفه، إذ سمى الظاهر نصا، على الرغم من أن هناك بينهما فروق ، وهو في ذلك يستند إلى الشاهد اللغوي، الذي يعد من الحجج القوية التي تؤدي إلى الإقناع ، وتلخيص ذلك في المخطط التوضيحي الآتي:

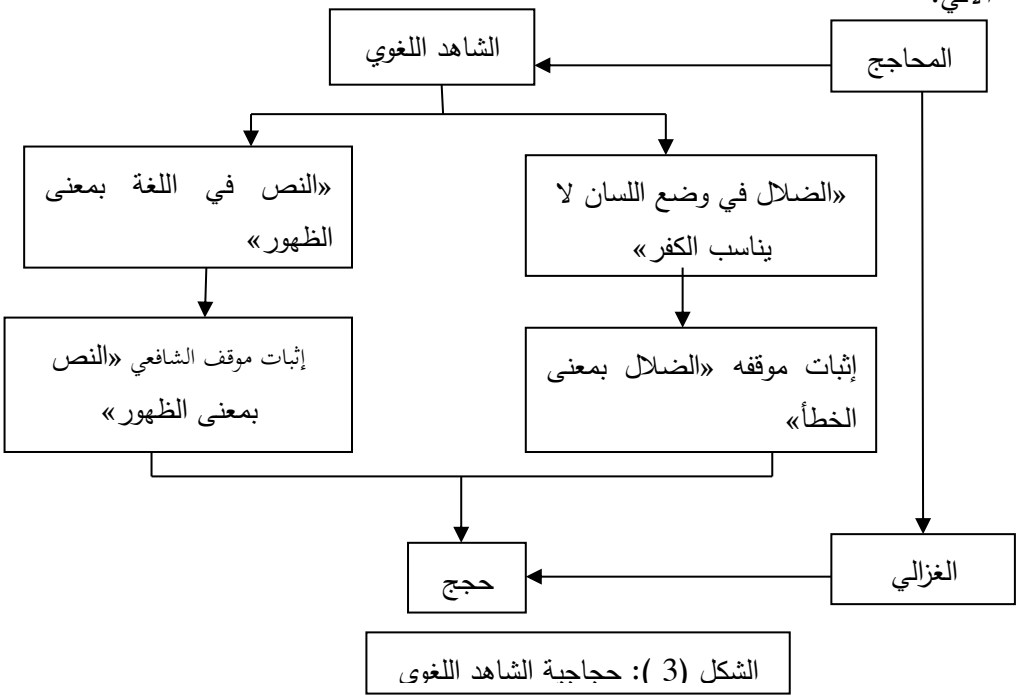

الشكل (3): حجاجية الشاهد اللغوي

4-الشاهد الشعري:

لما كان الشعر ديوان العرب، فلا تخفى أهميته في الحضارة العربية الإسلامية لقيمته الإقناعية في تقوية موقف أو ترجيحه، أو دحض فكرة وتفنيدها، وليس أدل على ذلك من اعتماده آلة لتفسير القرآن الكريم وكشف مقاصده، هذه المنزلة السامية التي تبوأها الشعر في علاقته بكتاب الله أكسبته حجية قوية وفعالة في تحقيق الترجيح، وإفحام الآخر بحمله على الإقناع، ومن ثم التأثير فيه (عبد اللطيف عادل، 2013، ص 234).

فالشاهد الشعري إذن يستدعى كحجة مرجحة، وكشاهد عدل خلال المنافرة والمخاصمة، (عبد اللطيف عادل،2013، ص 239)، لذلك اتخذه "الغزالي" شاهدا في بعض المواقف لردع الخصم وإفحامه، يمكن الاستشهاد على ذلك بالمثال الآتي:

قال "الغزالي" في تعريفه للكلام أثناء تعريفه لكلام الله تعالى «والكلام اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس كما قيل:

إنّ الكَلام لَفِي الفُؤَادِ وإنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا

فلا سبيل إلى إنكار كون هذا الاسم مشتركا، وقد قال قوم وضع في الأصل للعبارات وهو مجاز في مدلولها، وقيل عكسه، ولا يتعلق به غرض بعد ثبوت الاشتراك» (الغزالي، 2010، ص 120) .

ما يمكن ملاحظته على قول "الغزالي" أنه عزز رأيه، والمتمثل في أن الكلام اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ، وقد يطلق على المعاني، بحجتين؛ حجة لغوية على أن الكلام يطلق على الألفاظ، وحجة شعرية على أن الكلام يطلق على المعاني.

فقد اشتغل الشاهد الشعري –إذن– في هذا المقام بوصفه سلطة حجاجية في إثبات أن الكلام قد يطلق على المعاني أيضا؛ لأن «الشاهد الشعري كفيل بأن ينقل القول من مجرد رأي خاص إلى اعتقاد مشترك، ومعلوم أن الجمعي أكثر مصداقية، وأقرب للإقناع» (عبد اللطيف عادل، 2013، ص 241).

انطلاقا مما سبق نستخلص أن "الغزالي" قام بتعزيز رأيه بحجة أدبية، تمثلت في الشعر لقوته في البناء اللغوي والمعرفي والإقناعي داخل الثقافة العربية الإسلامية (عبد اللطيف عادل،

بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 234)، والرد على آراء القائلين بأن "الكلام" يطلق على العبارات فقط، والقائلين بالعكس؛ بأن مصطلح "الكلام" يطلق على المعاني فقط.

وتلخيص الحجج التي وظفها الغزالي لدعم رأيه، ودحض آراء الآخرين كالآتي:

-الكلام يطلق على الألفاظ ⟵ الحجة لغوية ⟵ تقول سمعت كلام فلان وفصاحته.

-الكلام يطلق على المعاني⟵ حجة أدبية شعرية⟵الشاهد الشعري.

والتمثيل لذلك يوضحه المخطط الآتي:

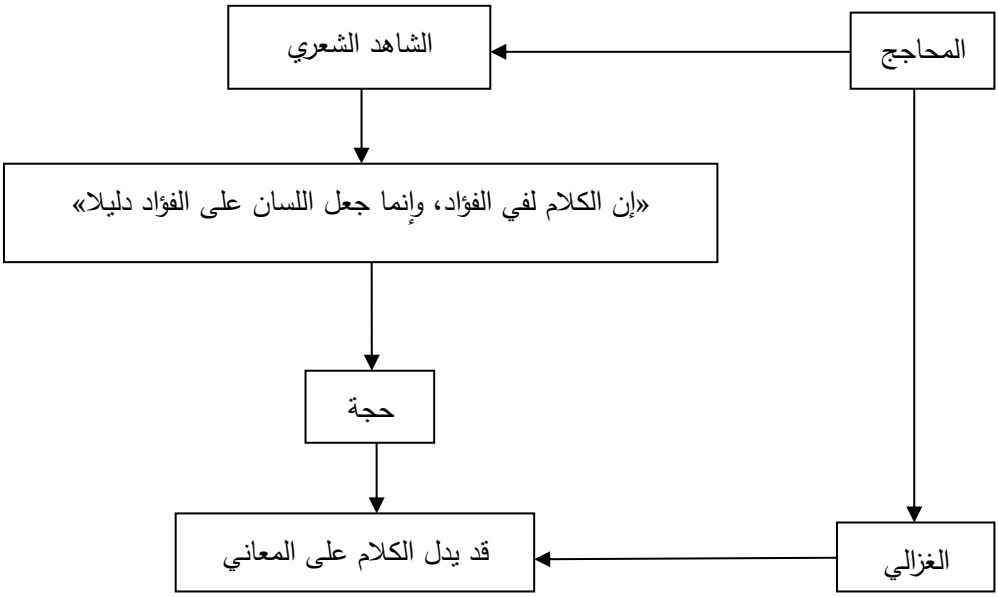

الشكل (4): حجاجية الشاهد الشعري.

5. خاتمة:

محصول الحديث أن "الغزالي" قد استند في مستصفاه إلى كل أنواع الشاهد التي تعد من أقوى الحجج التي تؤدي إلى الإقناع، وقد أدت هذه الشواهد نجاعتها الحجاجية، باعتبارها حجة مثبتة أو مبطلة؛ أي إثبات موقف "الغزالي" وإبطال ودحض موقف الرأي الآخر.

6. نتائج الدراسة:

عموما ومن كل ما تقدم يمكن استخلاص النتائج الآتية:

-يعرف الحجاج في الفكر الغربي بأنه تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تؤدي إلى نتيجة معينة، والتي يكون القصد منها التأثير في المتلقي، وإقناعه بخصوص موضوع ما.

-ألم الغزالي بأدوات المنهج التداولي وآلياته في دراسته لخطابات متنوعة ذات سياقات متنوعة.

-يتجلى الحجاج عند علماء الأصول من خلال استثمار الآليات الحجاجية في استنباط الأحكام الشرعية، والاحتجاج لها، ونقض شبه المخالفين، ودحض آرائهم.

-ظهرت ملامح الحجاج بشكل واضح وجلي في "كتاب المستصفى من علم الأصول"، من خلال توظيف آليات الحجاج في المسائل الأصولية، وبناء القواعد الشرعية.

-يتجلى الحجاج في كتاب المستصفى" أيضا من خلال توظيف الشاهد بكل أنواعه، والذي تمثل في الشاهد القرآني، والشاهد الحديثي، والشاهد اللغوي، والشاهد الشعري.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولا: المصادر:

1. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ط 1، 1998، م1.
2. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2013.

3. الغزالي(أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ج1.
4. الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج27.

ثانيا: المعاجم:

5. ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1979، م2 ، مادة حجج .

ثالثا:المراجع:

6. أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436 هـ.
7. بنعيسى أزاييط، مداخلات لسانية "مناهج ونماذج"، سلسلة دراسات وأبحاث، مطبعة مكناس، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2008.
8. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس.
9. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
10. عبد المنعم سمارة، التأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015.
11. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
12. مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم، دار كنوز، عمان، الأردن، ط1، 2017.
13. مليكة ناعيم، المقصد الحجاجي في النقد النحوي قراءة في نص لأبي حيان التوحيدي، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، بحوث محكمة، إشراف أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016.
14. نور الدين أجعيط، مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، (دت).